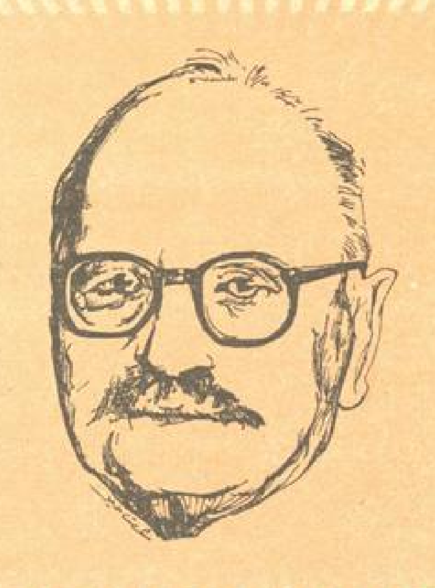
كارل بروكلمان

بين التراث العربي وعلم اللغة المقارن



بقلم الدكتور محمود فهمي حجازي

١ ـ تقديم

يحتفل المتخصصون فى الدراسات الشرقية هذا العام (١٩٦٨) بالذكرى المئوية لميلاد أكبر باحث عرفه القرن العشرون فى الدراسات السامية وتاريخ التراث العربى • ولد كارل بروكلمان منذ مائة عام فى مدينة روستوك التى تقع اليوم فى ألمانيا الديمقراطية ، وعاش حياة عامرة بالبحث مخلصة للعلم (١) ، بدأت بواكير ثمارها فى رسالة تقدم بها الشاب الغض ذو الاثنين والعشرين عاما ليحصل سنة ١٨٩٠ على درجة الدكتوراه من جامعة ستراسبورج ، ولم تكن الحواجز السياسية قائمة آنذاك على النحو الذى نعرفه اليوم ، لم تكن ستراسبورج فى فرنسا ولاروستوك فى ألمانيا الديموقراطية • كانت ستراسبورج تعرف جامعة ألمانية مرموقة، وكان الطالب النابه كارل بروكلمان يدرس فى الاطار الثقافى الألمانى القائم على الدعائم الاوربية الكلاسيكية ، وتمده الروافد الاوربية بالتيارات العلمية المتنوعة ، تعلم الشاب بروكلمان اليونانية واللغة اللاتينية قبل دخوله الجامعة ليطلب البحث العلمى • ودرس اللغات الشرقية التى أتيحت معرفتها له وما أكثرها ، درس اللغات السامية المختلفة واهتم منها بالعربية والعبرية والسريانية ، كما درس عددا من لغات العالم الاسلامى ، وركز عمله فى هذا المضمار على التركية بجانب الفارسية • وبديهى فى جامعات وسط أوربا أن يكون المتخصص فى الدراسات الشرقية وسائر العلوم الانسانية ممتلكا زمام فهم المؤلفات العلمية التى دونت باللغات الاوربية المختلفة • بهذا الأساس القوى والأدوات العلمية تقدم ابن الثانية والعشرين ليحصل على الدكتوراه من جامعة ستراسبورج برسالة موضوعها : « علاقة كتاب الكامل لابن الأثير بتاريخ الطبرى » فأجيز كارل بروكلمان سنة ١٨٩٠ ، وزاد نشاطه يوما بعد يوم ، وأينع غرس شبابه بحثا بعد بحث ومعجما بعد كتاب• ظل بروكلمان نشطا منطلقا نحو البحث العلمى والتأليف حتى توفى فى عام العدوان الثلاثى على مصر ١٩٥٦ •

ومعنى هذا أن بروكلمان ظل يؤلف ويعمل أكثر من ستة وستين عاما ، ويالها من فترة طويلة، لقد عمر بروكلمان وأوتى الذكاء والجلد والتوجيه العلمى فأتم فى أعوامه السبعة والثمانين ماتنوء بانجازه العصبة ذوو القوة • لقد تنوعت اهتمامات بروكلمان فى البحث العلمى ، فاذا التقى عدد من المتخصصين اتفقوا على عظمة العالم بروكلمان واختلفوا فى تبين جانب التفوق والامتياز عنده • يقول المتخصص فى الدراسات السامية أن امتيازه يرجع الى المعجم السريانى أولا ثم الى كتابه العمده فى النحو المقارن بعد ذلك • وهنا يحتج المتخصص فى التراث العربى ذاكرا السفر النفيس الذى صنفه بروكلمان فى تاريخ الأدب العربى • ولا ننتظر طويلا حتى يخرج الينا متخصص فى التاريخ الاسلامى مطنبا على كتابه فى تاريخ الشعوب الاسلامية • وهنا يتهمنا المتخصص فى الدراسات التركية بالجور وعدم الأمانة ، فكارل بروكلمان معروف لديه بدراساته فى النحو التركى • جلهم محق فى تقديره لكل جانب من جوانب التأليف التى خاض غمارها كارل بروكلمان •

٢ ـ بروكلمان والتراث العربى :

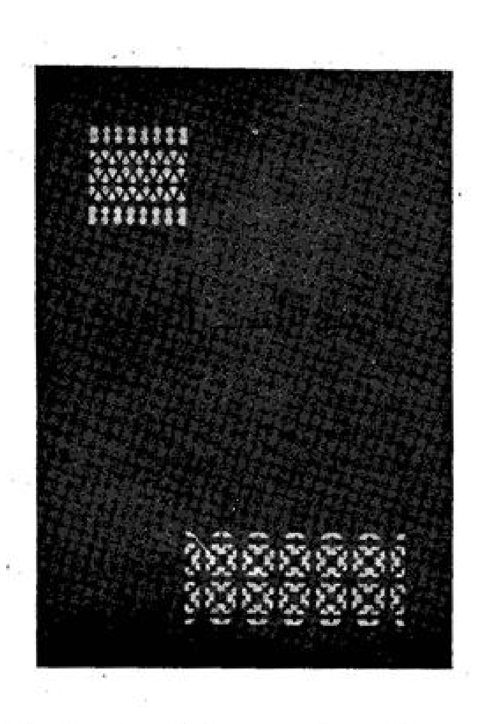
اهتم كارل بروكلمان منذ شبابه المبكر بالتراث العربى ، وملك عليه هذا التراث العظيم لبه وهواه فكان شغله الشاغل حقق ديوان لبيد بن ربيعه وترجم أشعاره ودرسها فى العام الاول لحصوله على الدكتوراه ، وطبع العمل سنة ١٨٩١ ، ثم رحل بروكلمان سنة ١٨٩٥ ـ ١٨٩٦ الى تركيا فكانت أولى رحلاته العلمية ، أوفدته أكاديمية العلوم فى برلين للاطلاع على مخطوطات كتاب « طبقات ابن سعد » فى مكتبات استانبول ، وكان هذا ممهدا للاسهام فى الكتاب ونشره سنة ١٩٠٤ • واستمر اهتمام بروكلمان بالمخطوطات ووصفها وتعريف العلماء بها ، فنراه يضع فهرسا للمخطوطات العربية والتركية والعبرية فى مكتبة مدينة برسلاو سنة ١٩٠٣ ، ثم يعد فهرسا للمخطوطات العربية والفارسية والقبطية والتركية والسريانية والحبشية المحفوظة فى هامبورج ، وطبع هذا الفهرس سنة ١٩٠٨ • استمر بروكلمان طوال حياته مهتما بالتراث العربى ، وخير شاهد على هذا هو كتابه الذى نما مع البحث وعظم الجهد ألا وهو كتاب : « تاريخ الادب العربى » •

(١) نشرت مجلة «المجلة» مقالين عن بروكلمان ، الاولى بقلم يوهان فك أستاذ الدراسات الشرقية بجامعة هاله فى عدد يونية ١٩٥٧ ، والثانى بقلم بيرتولد شبولر استاذ الدراسات الشرقية بجامعة هامبورج فى عدد يناير ١٩٥٨.

وينبغي أن نقف قليلا عند كلمة Litteratur التي جاءت في عنوان هذا الكتاب والتي ترجمت الى العربية بكلمـــة أدب ، فقـــد جعل الدكتور عبد الحليم النجار عنوان ترجمته العربية للاقسام التي أعدها من الكتاب « تاريخ الأدب العربي » واذا نظرنا في أي معجم اشتقاقي للغـــة الالمانية لوجدنا الكلمة Litteratur تعني عندهم مانعنيه بكلمة « التراث المدون » أو «الكتب» أو «المراجع» وهناك فرق بين الأدب بمعناه الفني كما نعرفه في الشعر والقصة والأدب المسرحي وبين الكتب عموما بما بها من فلسفة وعلوم ورياضيات وتاريخ وفقه وتصوف · ومن هنا كنت أفضل كلمة «التراث» ترجمة لكلمة Litteratur في هـــذا المقام ، فيصبح عنوان هذا الكتاب «تاريخ التراث العربي» غير انني استخدم هنا الترجمة الشائعة للعنوان تقريبا وتيسيرا ·

فكر بروكلمان في وقت مبكر من حياته العلمية، وذلك عقب الانتهـــاء من المعجم السرياني ١٨٩٥ وزيارة تركيا (١٨٩٥ ـ ١٨٩٦) في تأليف كتاب حول تاريخ التراث العـــربي يكون مرجعـــا أمام الباحثين وهاديا لهـــم يعرفهم بالتراث العـــربي وبأعلامه وبمخطوطاته وبقضاياه · فأعد بروكلمان كتابه العظيم في طبعة أولى ظهـــرت في جزءين ، أولهما في ڤايمـــار ســـنة ١٨٩٨ والثـــاني في برلين ١٩٠٢ ، فكان هذا الكتاب أوفى كتاب أوربي في تاريخ التراث العربي · ولم يلبث الكتاب أن نفد ، فظهرت طبعته الثانية ســـنة ١٩٠٩ وفي السنوات الصاخبة التي عاشتها ألمانيا تحت الحكم النازي ظل بروكلمان مخلصا لتخصصه فأعد وأتم ملحقا ضخما في مجلدات ثلاثة أكمل بها كتابه في تاريخ الأدب العربي ، وظهرت هذه الملاحق الضافية بين ١٩٣٧ ـ ١٩٤٢ ، ونفدت هذه الطبعة ، فأعيد طبع الملحق وأعيد طبع الأصل مع الاشارة في كل واحد منهما الى الآخر ، وكانت الطبعة الاخيرة بين عامي ١٩٤٣ ـ ١٩٤٨ ·

تناول بروكلمان في كتـــابه « تاريخ الأدب



العربي » التراث العربي منذ فجر الاسلام الى وقت صدور الكتاب · والكتاب ينظر الى التراث العربي كمظهر من مظاهر الحضارة الاسلامية ، ومن ثم فلم يعر المؤلفات التي ألفها مسيحيون ويهود ـ لأبناء عقيدتهم دون غيرهم ـ اهتمـــاما يذكـــر ، وذلك باعتبار أن هذا ليس تعبيرا مباشرا عن الحضـــارة الاسلامية · وقد قسم بروكلمان كتابه تقسـيما زمنيا ، وأدخل في كل فترة مباحث كل علم وقد استقل برأسه ، فالتقسيم الأكبر زمني والتقسيم الداخلي موضوعي · تناول الكتاب الأول « التراث العربي الوطني أو تراث الأمة العربيـــة » ويعني بروكلمان بهذه التسـمية تراث الجاهلية وصدر الاسلام ، هذا التراث الذي يعبر تعبيرا مباشرا عن الروح العربية البدوية قبل اختلاطهـــا الشـــديد بالعنـــاصر غير العربيـــة · وأفرد بروكلمـــان لمحمد (ص) ولعصره ومن به من شـعراء فصولا أخرى تدخل كذلك في ذلك القسم الخاص بالتراث العربي الوطني ، وامتد هذا ليشمل كذلك فصولا عن العصر الأموي ذلـــك العصر الذي كان حكامـــه مرتبطين أشـــد الارتباط بحياة البـــادية وبمثلها وبلغتها ·

وبهذا العصر ينتهي في رأي بروكلمان عصر التراث العربي الوطني ليبدأ مع العباسيين عصر جديد سمته الأولى هي العقيدة الاســـلامية تربط بين كل الأدبـــاء والمؤلفين من فرس وترك وبدو

(١) هكذا كتبت الكلمة عند بروكلمان في العنوان وتكتب اليوم Literatur

ومصريين ومغاربة • كانت العربية لغة التعبير عن هذه الحضارة وذلك التراث ، وكان الاسلام دين الغالبية العظمى من أصحاب العلوم ، فهى الحضارة العربية الاسلامية وهو التراث الاسـلامى باللغة العربية • ضم الكتاب الثانى فى مؤلف بروكلمان عرضا لهذا التراث الاسلامى ، وقسم المؤلف هذه الفترة الواســعة الى مرحلتين اثنتين ، امتدت الأولى من حوالى سنة ٧٥٠ م الى سنة ١٠٠٠ م ، أى من بداية العباسـيين الى نهاية القرن الرابع الهجرى ، وبدأت الثـانية مـع القرن الخـامس الهجرى/الحادى عشر الميلادى ، لتنتهى مع سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م • وهناك فرق فى طبيعة التراث بين العصر العربى الوطنى – وفق تعبير بروكلمان – وعصر التـراث الاســـلامى العربى • كان الشعر يحتل مكان الصدارة فى أولهما وتنوع التراث فى الثانى ليضم الى جانب الشعر فصولا عن : النثر الفنى ، وعلم اللغة ، والنحو ، والتاريخ ، وأدب المسامرات ، والحديث ، والفقه بمذاهبه المختلفة ، وعلوم القرآن الكريم ، والعقائد ، والتصوف ، والفلسفة ، والرياضيات ، والفلك والجغرافيا ، والطب ، والعلوم الطبيعية ، ذكر بروكلمان مؤلفات كل فرع من هـذه العلوم بجانب حديثه عن حركة الترجمة والموسوعات • ومنهج بروكلمان واحد فى هذا وذاك ، يبدأ كل فصل بنبذة فى تاريخ العلم يليها ذكر للشخصيات العلمية وهو يتناول كل مصـــنف بذكر شىء عن حياته العلميـــة وسرد مصادر ترجمته ثم يذكـر مؤلفاته من مخطوط ومطبوع ، وبهذا يعطى أساسا طيبا لمن أراد الانطلاق نحو البحث العلمى الدقيق •

أما الكتاب الثالث فكان خالصا بالتراث الاسلامى فى فترة التخلف • خصص بروكلمان قسما من هذا الكتاب للفترة الواقعة بين الغزو المغولى ودخول السلطان سليم غازيا مصر سنة ١٥١٧ • وكان عرضه لهذه الفترة على أساس العلوم المختلفة فى كل اقليم على حدة • فجعل مصر وسـوريا وحدة جغرافية – حضارية واحدة ، وتحدث عن كل علم فى الاطار المصرى السورى فى تلك الفترة ، وأفرد للعراق والجزيرة بابا ثانيا ، وتنـاول فى الأبواب التالية المناطق الآتية : شـمال الجزيرة العربية ، وجنوب الجزيرة العربية ، وايران ، والهنـــد ، والترك والدولة العثمانية ، والمغـــرب العربى وأسبانيا الاسلامية • وبهذا ادخل البعد الجغرافى فى عرضـــه بعــدا جديدا ينضوى تحت العصر وينضوى تحته الفرع من فروع العلم • أما الفترة التالية فى الكتاب الثـالث فتناولت بنفس المنهج التراث العربى ابتداء من غزو السلطان سليم لمصر سنة ١٥١٧ الى دخـول نابليون بونابرت سـنة ١٧٩٨ ، والتزم بروكلمان بنفس التقسيم الجغرافى فى عرضه لهــذه الفترة ، ويلاحظ هنا أنه أفرد فصلا للسودان فى العصر العثمانى ، ولم يفعل هذا فى المراحل السابقة ، وهو فى هذا محق مع طبيعة التراث الذى كان يقوم بتصــنيفه • أما القسم الثالث من الكتاب الثالث فكان مخصصا لما بعد حملة نابليون ، وادار الحديث مفصلا عن مصر وسوريا فى العصر الحديث وأقل تفصـــيلا عن العراق وتضاءلت المادة أمام بروكلمان وهو يبحث عن التراث العـــربى فى جزيرة العـرب وايران وافغانستان والهند والمغرب والسودان • وهكذا انتهى عرض بروكلمان لهــذه المادة المتشعبة تخصصا ، المتدة تاريخيا ، المترامية جغرافيا ، بعد أن مر بكل هذه المراحل المتتالية •

أما الملحق القيم الذى أعده بروكلمـــان ذيلا لكتابه هذا فقد أكمل فيه ما فاته فى العمل الأصلى من ذكر المؤلفات أو اكمال المخطوطات حتى صار الكتاب أكثر كمالا ودقة • وقد خصص بروكلمان فى الملحق كتابا رابعـــا تناول فيه الأدب والحياة الثقافية فى العالم العربى الحديث فى كل الاقطار العربية حتى نشوب الحرب العالمية الثانية ، ولم يتجاوز بروكلمان فى عرضه للعصر الحديث اطار الادب والثقافة الانســـانية ليتحدث عن العـلوم المختلفة ، كما كان دأبه فى المجلدات السابقة •

هذا وقد دعت حاجة المكتبة العربية الى كتـاب كهذا أن يشرع الدكتور عبد الحليم النجار الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة فى ترجمة هذا الكتاب الى اللغة العربية وكان الدكتور النجـــار – رحمه الله – قد ثقف الثقافة العربية فى مصر ثم اوفد ليدرس على المستشرقين الألمـان ، فكان اهـــلا للاضطلاع بهذا العمل ، ولكن الحياة لم تمهله ليتم

هذا الجهد ، فقد اختاره الله بعد أن طبع القسم الثالث من الترجمة العربية • ولا يزيد مجموع ما ترجم عن ربع الأصل والملحق • وكان الدكتور النجار قد أحسن عملا اذ ضم في ترجمته الاصل الى الملحق مما ييسر استخدام الكتاب •

وبعد سنوات طالت واتضحت فيها صورة المكتبة العربية على نحو لم يتح لبروكلمان ، ظهر القصور في عمل الباحث العظيم • لقد أميط اللثام عن مخطوطات كانت قابعة في مكتبات حافلة في كل أنحاء العالم ، وظهرت هذه المخطوطات العربية وخرجت الى عالم البحث العلمي وسجلت في فهارس ، بعضها دقيق والآخر أقل دقة • وهنا شرع الباحث التركي الأستاذ الدكتور محمد فؤاد سزكين في اكمال ما لم يتح لبروكلمان وكان سزكين يعمل في استانبول ، حيث يستقر القسم الأكبر من المخطوطات العربية في العالم ، وذلك في المجموعات المختلفة التي تجمع المكتبة السليمانية العمومية قسما كبيرا منها اطلع سزكين على هذه المخطوطات وفكر في اكمال بروكلمان ، ولكن العمل تجاوز حدود الاكمال والتذييل ليقرر سزكين أن يجعل كتابه قائما برأسه • وظهر القسم الأول من هذا العمل الجديد في ألف صفحة ومن المتوقع أن يصدر العمل في ستة مجلدات ، استفادت من جهود بروكلمان والجهود التالية ، ولذا استحق سزكين ما عرف به بين الباحثين من انه بروكلمان الجديد ولكنه بروكلمان في جانب من جوانبه الكثيرة المشرقة •

وهكذا اسهم بروكلمان في بحث التراث العربي وعرضه وتحقيقه من عدة جوانب : وصف مجموعات وتحقيق مخطوطات وكتابة فصول موجزة في تاريخ الادب العربي سنة ١٩٠١ ثم ١٩٥٤ ، وأسهم – أولا وقبل كل شيء – بكتابه العظيم : « تاريخ الادب العربي » •

٣ – بروكلمان والتاريخ الاسلامي :

وبجانب التراث العربي فلكارل بروكلمان مكانه في التأليف التاريخي ، كان أول بحث دخل كارل بروكلمان به عالم البحث العلمي دراسة فيلولوجية لعلاقة كتاب الكامل لابن الأثير بتاريخ الطبري ، وحصل بروكلمان بهذا البحث سنة ١٨٩٠ على درجة الدكتوراه • قارن بروكلمان بين كتابي ابن الاثير والطبري وخرج من هذه المقارنة بعدد من الملاحظات تتلخص في أن كتاب الكامل يكاد يكون طبعة منقحة من كتاب أخبار الرسل والملوك ، هذا مع مراعاة اختلاف الكتابين منهجا ، احتفل الاقدم بالأسانيد التي تشير الى الرجال الذين أخذ عنهم الروايات المختلفة التي قام الكتاب على ضمها مصنفة ، ولم يهتم الكامل بهذه الاسانيد فمصادره معروفة ولا حاجة الى ذكرها ، ولاحظ بروكلمان كذلك أن ابن الأثير حذف كثيرا من الملاحظات الجانبية التي يذكرها الراوي عن الحادث المروي ويحذف كذلك معظم الخطب والرسائل والاشعار التي يزخر بها كتاب الطبري • ويطول بنا القول لو تعرضنا لكل جوانب المقارنة وحسبنا هنا أن نقول ان بروكلمان أثبت برسالته المتواضعة ميلا الى الدقة الفيلولوجية والعمل التاريخي ، وأعاد الى الكامل لابن الأثير مكانته الحقيقية بعد أن بالغ جيل من الباحثين في تقدير قيمته تارة ، وتمادى جيل آخر في الاقلال من شأنه •

أما كتابه المعروف في « تاريخ الشعوب والدول الاسلامية » فقد ظهر سنة ١٩٣٩ ولم يقتصر فيه بروكلمان على التاريخ العربي بل تناول تاريخ كل الدول الاسلامية حتى العصر الحديث ، ولقي الكتاب في الدوائر الثقافية الأوربية رواجا شديدا في وقت كان العالم يمر فيه بفترة عصيبة • ولذا طبعت الطبعة الثانية من الكتاب سنة ١٩٤٣ ، ثم ترجم الكتاب الى اللغة الفرنسية سنة ١٩٤٩ فكان الكتاب الثاني لبروكلمان الذي يترجم الى اللغة الفرنسية ، كما نقل هذا الكتاب الى عدد من اللغات نذكر منها الترجمة الانجليزية (١٩٦٢) والترجمة العربية (١٩٤٩) والترجمة التركية والترجمة البولندية •

تناول الكتاب التاريخ الاسلامي كله ممهدا لذلك بفصل عن العرب قبل الاسلام ثم بفصل عن

محمد (ص) وبفصل آخر عن تعاليم الاسلام · ولم يقتصر المؤلف على التاريخ العربى فهذا لم يكون وحدة متميزة الا فى فترة متأخرة ، فتحدث عن الدول الاسلامية الكبرى منها والصغرى ، تناول الدولة الأموية والدولة العباسية كما تناول الدويلات التى ظهرت فى اطار الخلافة الاسلامية ، وعقد للفرس والترك والدول الفارسية والتركية فصولا ، ومضى بنا الكتاب عبر العصر العثمانى الى مصر وسوريا فى القرن التاسع عشر ، ثم أفرد المؤلف فصولا طيبة لتركيا بعد الحرب العالمية الأولى ثم لمصر ولجزيرة العرب وللشام ولايران وافغانستان · تناول المؤلف فى هذه الفصول البلاد الاسلامية فى الاعوام العشرين التى سبقت تأليف الكتاب ، وبروكلمان ذو موقف واضح لا يكاد يضلله مطمع استعمارى ولا يغمط من قدرة ارتباط نازى ·

وفى آخر الكتاب نجد دليلا زمنيا ضم حوالى ٤٠٠ تاريخ تعتبر أهم معالم الطريق فى التاريخ الاسلامى ، وبعده وضع بروكلمان جدولا زمنيا أكثر دقة وذلك لفترة العشرين عاما التى سبقت ظهور الكتاب (١٩١٩ ـ ١٩٣٩) وهى السنوات التى تفصل الحربين العالميتين · هذا الجدول له محوران : المحور الافقى جغرافى وعناصره هى . تركيا ومصر وسوريا ولبنان وفلسطين والعراق والمغرب وايران · اما المحور الرأسى فهو زمنى تناول فيه بروكلمان احداث كل منطقة عاما عاما· وهكذا يمكن تتبع اهم الأحداث عن طريق هذا الجدول تتبعا مكانيا وزمنيا · ورغم أن الكتابة التاريخية من الموضوعات التى تبدو منها وجهة النظر الفردية للباحث ، فما يزال كتاب بروكلمان فى التاريخ الاسلامى لدقته وموضوعيته النسبية ذا مكانة بين كل المتخصصين فى الدراسات الشرقية وينبغى الا نغمط حقه كمؤرخ بدعوى انه لا يقول بالتعاليم الاسلامية ، فله عقيدته وللعلم منهجه الدقيق ولبروكلمان من الموضوعية الممكنة قدر كبير غير أننا نأخذ عليه القول بمسلمات أوربية حول الاسلام والرسول الكريم ·

ورغم هذا فترجع قيمة هذا الكتاب الى اطلاع بروكلمان على المصادر الاصلية بلغاتها العربية والفارسية والتركية · وكانت معرفة بروكلمان باللغة التركية ولهجاتها بجانب تكوينه العلمى كمتخصص فى علم اللغة أساس اشتغاله كذلك بتأليف كتاب « فى النحو التركى الشرقى » وظهر هذا الكتاب سنة ١٩٥٤ ليكون فتحا جديدا سجله بروكلمان ونقل به البحث العلمى فىاللغة التركية مرحلة الى الامام ·

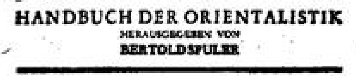
٤ ـ بروكلمان واللغات السامية :

بدأت شهرة بروكلمان كعالم فى اللغات السامية قبل أن يبلغ الثامنة والعشرين من عمره المديد · فقد صدر له سنة ١٨٩٥ « المعجم السريانى » ، وهذا المعجم هو أفضل معجم عرفته اللغة السريانية الى يومنا هذا ، نحن نعرفه اليوم من الطبعة الثانية سنة ١٩٢٨ ، ولكن الأساس كان قد وضع عريضا فى ذلك الوقت المبكر من حياة بروكلمان ، وضع بروكلمان معجمه السريانى موضحا الدلالات باللغة اللاتينية ، ورب قارىء يتساءل عن سر اختيار بروكلمان للغة اللاتينية اداة افهام وتيسير · والواقع أن كل المتخصصين الأوربيين فى الدراسات الانسانية ـ وبعضأصحاب الدراسات الأخرى ـ كانوا فى القرن التاسع عشر من أصحاب المعرفة الطيبة باللغة اللاتينية ، كانت مقوما ثقافيا عاما . ومازالت لها مكانة ما فى جامعات وسط أوربا حيث يجوز للطالب الى يومنا هذا أن يقدم رسالته للدكتوراه باللغة اللاتينية أو باللغة الألمانية . شتان تصورنا لهذا وواقع الأمر فىالجامعات الاوربية القرن العشرين ، وما أبعد هذا عن الاطار الثقافى للأوربين فى القرن التاسع عشر . لقد الف بروكلمان معجمه سريانيا لاتينيا فكتب له الانتشار والشيوع فى مختلف أرجاء أوربا وجامعات العالم . ولم يكتف بروكلمان فى هذا المعجم بايراد اللفظ السريانى ومقابله اللاتينى ، بل تجاوز هذا الى جعل المعجم معجما اشتقاقيا مقارنا . كان يذكر اللفظ السريانى مع المقابلات السامية الاخرى فى العربية والعبرية وسائر اللغات السامية ، ويشير كذلك الى الاصل اليونانى او اللاتينى ان كان اللفظ من الدخيل فى السريانية ، كما أن بروكلمان يشير بجانب كل كلمة

الى بعض اماكن ورودها فى النصوص السريانية .
وكان بروكلمان قد بحث طائفة ضخمة من النصوص السريانية بحثا معجميا ، يستخرج الدلالة الدقيقة لكل لفظ من السياق الطبيعى فى النص وهذا منهج سديد حقق عملا مجيدا ، وما أسعد الباحثين فى اللغة العربية يوم يتم عمل مشابه للغة العربية .

واشتهر بروكلمان بين علماء اللغة والمتخصصين في الساميات بكتابة القيم فى النحو المقارن للغات السامية . وكتاب « الأساس فى النحو المقارن للغات السامية » سفر ضخم يقع فى قسمين كبيرين ، ظهر الأول منهما سنة ١٩٠٨ وظهر الثانى سنة١٩١٣ . تناول المؤلف فى الأول اللغات السامية وتوزيعها الجغرافى والتاريخى فى مقدمة علمية ، ثم درس الأصوات فى اللغات السامية دراسة مقارنة ، ثم عقد لبناء الكلمة فى اللغات السامية بقية صفحات القسم الأول من كتاب الأساس . أما القسم الثانى فقد تناول بناء الجملة فى اللغات السامية . فالكتاب اذن كتاب فى علم اللغة المقارن من جوانبه الصوتية والصرفية والنحوية والتركيبية . واذا كان هذا الكتاب القيم يعتبر قمة ما وصل اليه علم اللغة بالمنهج المقارن فى مجال اللغات السامية ، فانه يعتبر فى حياة بروكلمان بناء علميا سبقته اسس متنوعة وجاءته اضافات تالية ، هذه الأسس هى المقالات والأبحاث المختلفة التى كتبها بروكلمان بعد تأليف « المعجم السريانى » سنة ١٨٩٥ وقبل ظهور كتاب الأساس ١٩٠٨ — ١٩١٣ .

في هذه الفترة غير القصيرة الف بروكلمان سنة ١٨٩٩ كتابه فى « النحو السريانى » ، وهو كتاب ما يزال الى يومنا أفضل ما ألف فى بابه ، ثم كتب بروكلمان « دراسة فى الاشورية » سنة ١٩٠٢ وألف سنة ١٩٠٣ بحثا حول « نظرية أصوات الحلق فى الآشورية » والآشورية كما نعلم من اللغات السامية المغرقة فى القدم ، وكتب فى


HANDBUCH DER ORIENTALISTIK
HERAUSGEGEBEN VON
BERTOLD SPULER

DRITTER BAND
SEMITISTIK
ZWEITER UND DRITTER ABSCHNITT

MIT BEITRAGEN VON
ANTON BAUMSTARK† • CARL BROCKELMANN • JOHANN FÜCK • MARIA HÖFNER • ENNO LITTMANN • ADOLF RÜCKER† • BERTOLD SPULER



LEIDEN
E. J. BRILL
1954

نفس العام دراسة مقارنة عن « التاء كنهاية للتأنيث فى اللغات السامية » ، ثم أعد سنة ١٩٠٤ بحثا « حول الاصوات فى اللغة العبرية » ، وظهر له فى نفس العام بحث طيب بعنوان : « اللغة السامية » ثم أعد سنة ١٩٠٥ الطبعة الثانية من كتابه « النحو السريانى » وكتب سنة ١٩٠٧ فصلا قيما عن « الأدب السريانى » فى كتاب اشترك فى تاليفه نخبة من المستشرقين حول تاريخ الآداب المسيحية في الشرق . هذه بعض الاعمال التمهيدية التى ظهرت لكارل بروكلمان قبل ظهور كتابه الأساس فى النحو المقارن للغات السامية . كان بروكلمان قد اشتغل بالعربية وهو يدرس للدكتوراه ، ثم نالت السريانية قدرا من حياته العلمية وكذلك الأشورية ، وكانت له اهتماماته أيضا بالمجموعة الجنوبية للغات السامية، التى تضم الى جانب العربية الشمالية . اللهجات العربية الجنوبية القديمة واللغات السامية فى الحبشة .

وكان هذا ممهدا لأن يحقق بروكلمان بكتابه « الأساس » أمل اجيال المتخصصين فى علم اللغة المقارن ، ولما كان كتابه هذا ضخما يصلح مرجعا علميا ويصعب ادراك مابه على المتخصص الناشىء فقد الف بروكلمان موجزا للجزء الاول منه ظهر سنة ١٩٠٨ ، ولم يكن الجزء الثانى قد ظهر حتى ذلك التاريخ . وما لبث الموجز أن ترجم الى

اللغة الفرنسية ، وقام باعداد الترجمة سنة ١٩١٠ وليام مارسيه و م . كوهين . فكان هذا الكتاب أول كتب بروكلمان التى ترجمت الى اللغة الفرنسية ، لم يكتف بروكلمان بهذا الموجز لذاك الكتاب فلبى داعى التأليف للقارىء المثقف ، وألف كتيبا صغيرا حقق رواجا منقطع النظير فى سلسلة زهيدة الثمن ، ظهر هذا الكتيب سنة ١٩١٦ بعنوان : علم اللغات السامية .

وكان بروكلمان مهتما فى هذا الصدد بتكوين طالب البحث في طور اعداده المبدئى على أسس علمية تقدم له فى الكتب التعليمية للغات السامية المختلفة ، ولذا فقد الف كتابه فى « النحو السريانى » سنة ١٨٩٩ فتوالت طبعاته بعد ذلك ، ثم ألف سنة ١٩٢٥ كتابا فى « النحو العربى » أقامه على أساس كتاب المستشرق سوسين . والكتابان متماثلان فقد اتبع بروكلمان فى كتابيه فى النحو العربى والنحو السريانى منهجا واحدا ، ويبدأ المؤلف كلا منهما بعرض أسس الكتابة وتاريخها ثم يعقد فصلا لأصوات اللغة ثم فصلا آخر لبناء الكلمة فبناء الجملة . واهتم بروكلمان فى كل هذا بتقديم المادة فى صورة علمية مركزة ، فكان جرعة علمية دسمة دعمتها الوسائل الايضاحية الحديثة مثل جداول الصرف التى ذيل بها القسم النحوى من كل كتاب من الكتابين، واهتم بروكلمان كذلك بأن يذكر فى قسم خاص من الكتابين صفحات طوالا لذكر أهم المراجع والمصادر التى يتوسل بها الباحث فى كل لغة من اللغتين ، وأخيرا يأتى قسم النصوص المختارة التى فسرها بروكلمان بأن أضاف معجما بسيطا يعين على فهمها . وهكذا يبدأ الطالب بهذا الكتاب تعلم الكتابة ، فينتقل من الاصوات الى الصرف فالنحو ، ثم يطبق بدراسة النصوص ، وله فى المعجم الصغير الملحق خير وسيلة تعين على هذا وكل هذا الجهد الطيب وضعه بروكلمان فى كتاب واحد للعربية . وكتاب آخر للسريانية ، فكان كل واحد منهما عمدة الدارسين فى فجر عهدهم بالبحث . وكان أن طبع كل منهما المرات تلو المرات ، وأمامى الان الطبعة الرابعة عشرة للنحو العربى سنة ١٩٦٠ والطبعة السابعة للنحو السريانى سنة ١٩٥٥ ، وكلتاهما طبعتا فى ليبزج .

ولم يقتصر جهد بروكلمان فى علم اللغة على العربية والسريانية فله أبحاثه المختلفة وكتبه التى اكمل بها جهده المتوج بكتاب الأساس . فله فى اللغة العبرية جهد مشكور أتم به حياته العلمية وهو كتاب : « بناء الجملة العبرية » وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٩٥٥ ، ولم يكن البحث العلمى وقت تأليف بروكلمان لكتابة الأساس يعرف اللغة الاجريتية . انها هذه اللغة السامية التى اكتشفت سنة ١٩٢٩ . فكانت آخر الكشوف الهامة فى اللغات السامية الى يومنا هذا ، ولم يقف بروكلمان من هذا الكشف موقف القارىء المتفرج بل تقدم الى بحثها فأصدر مقالا علميا حول « بناء الجملة فى اللغة الاجريتية » ، ونشر المقال سنة ١٩٤١ فى مجلة أورينتاليا (المشرقيات) .

وكان بروكلمان يرحب كل الترحيب بالعمل الجماعى المخطط ، ويرى فى التعاون مع رفاق التخصص صورة للعمل المتكامل . نرى هذا فى الفصول التى كتبها ضمن كتاب « الآداب الشرقية » وكتاب « تاريخ الآداب المسيحية »

وطبع الكتابان سنة ١٩٠١ و ١٩٠٧ على الترتيب كما يتضح هذا كذلك فى العقد السادس من هذا القرن ، فقد صدر سنة ١٩٥٤ كتاب حول اللغات السامية وآدابها اشترك فى تأليفه مجموعة من كبار المستشرقين باشراف برتولد شبولر مدير معهد الدراسات الشرقية بجامعة هامبورج، وشارك بروكلمان بثلاثة فصول أساسية فى هذا الكتاب ، أحدها عن « اللهجات الآرامية » والثانى عن « اللغة العربية ولهجاتها » والثالث فى « تاريخ الأدب العربى » . وهكذا حقق بروكلمان فى مجال الساميات عددا كبيرا من المنجزات الكبرى ، اعد « المعجم السريانى » ، « والأساس فى النحو المقارن للغات السامية » ، وألف كتابين فى « النحو العربى و « النحو السريانى » ، وختم حياته بكتاب عن « بناء الجملة العبرية » هذا بالاضافة الى عشرات المقالات العلمية ، وكل هذا فى مجال واحد من مجالات جهد بروكلمان .

٥ – بروكلمان والمنهج المقارن :

علم اللغة المقـــارن علم حديث فقد حدثت الانطلاقة الكبرى فى البحث اللغوى بعد اكتشاف بنية اللغة السنسكريتية ، اذ وجد الأوروبيـون فى التراث الهندى أول دراسة وصفية للغـة من اللغات ، ووجدوا البحث الهندى فى اللغـــة يقوم على الملاحظة وتسجيل الواقع لا على المنطق والآراء الفلسفية • بدأت الدراسة بمقارنة اللغة السنسكريتية باللغـــة اليونانية واللغة اللاتينية وأثار تشابه هذه اللغات اهتمام الباحثين وتطورت الدراسات اللغوية بتقدم هذه المقارنات وتبلورت جوانب المنهج المقارن فى علم اللغة شيئا فشيئا • ومن المؤلفات المبكرة فى المقـــارنات اللغـــوية للمجموعة الهنـــدية الأوروبيـــة كتاب الباحث الألمانى بوب (١٧٩١ – ١٨٦٧) الذى ظهـــر فى عام ١٨١٦ ، وقارن فيـه تصريفات الافعال فى السنسكريتية واليونانية واللاتينية والفارسـية والجرمانية • وقد أثبت بوب بمقارنته لهذه اللغات أنها تكون أسرة لغوية واحدة ، ويطلق اليوم عـلى هذه المجموعة فى الجامعات الالمانية أسرة اللغـــات الهندية الأوروبية •• ومن أهـــم اللغـويين الذين أسهموا فى علم اللغة المقـــارن للغات الهنـــدية الاوروبية يعقوب جريم (١٧٨٧ – ١٨٦٣) الذى نشر سنة ١٨١٨ كتابا بعنوان « النحو الالمانى » وقد قارن جريم فى هذا الكتاب الظواهر اللغوية فى القوطيـــة والانجليزية والهولنـدية والألمانية واللغات الاسكندنافية ، فهذا الكتـــاب ليس فى النحو الالمانى فحسب بل هو كتـــاب فى النحو المقارن للغات الجرمانيـــة • وينبغى أن نذكر فى هذا الصدد اسم اللغوى الالمانى لسكين Leskien (١٨٤٠ – ١٩١٦) الذى أصدر كتابا ســـنة ١٨٦٧ عن تصريفات الاسماء فى اللغات الجرمانية والسلافية ، والجدير بالملاحظة هنـــا أن لسكين حاول أن يستخرج « القوانين الصوتية » ، ونظر الى هذه القوانين على انها دقيقة دقة القوانين فى العلوم الطبيعية ، وأسس بهذا مدرسة فى البحث اللغوى سميت باسم « النحاة الشـــبان » • والى هذه المدرسة ينتمى بروكلمان •

واستمر البحث اللغوى فى أوروبا فى القـرن التاسع عشر ينتهج المنهج التاريخى المقارن وبلغ البحث أوجه فى كتاب كارل بروجمان (١٨٤٩ – ١٩١٩) الذى ظهر ١٨٨٦ – ١٩٠٠ بعنـــوان : الأساسي فى النحو المقارن للغات الهندية الجرمانية وطبع الكتـــاب فى ستراســـبورج حيث درس بروكلمان واتسمت أبحاث القرن التاسع عشر بأمرين : أولهما : الوعى التاريخى ، والثـــانى البحث عن قوانين • والواقع أن كل العلوم فى ذلك القرن كانت ذات طابع تاريخى فبعد أن حاول دارون (١٨٠٩ – ١٨٨٢) أن يرتب الكائنـــات ترتيبا تاريخيا ، وأعجبت العلوم الانسانية بدقة منهجه حاول المشتغلون بهـــا اصـطناع المنهج التاريخى فكتب الاقتصاديون فى تاريخ الاقتصاد والقانونيون فى تاريخ القانون ، ودارسو الادب فى تاريخ الأدب • أما الباحثون فى اللغة فقـــد ألفوا فى الارتباط والعلاقات التاريخية بين اللغات واهتم اللغويون كذلك بالبحث عن قوانين مطـردة لا تعرف الشذوذ ، وهذا النزوع أثر من آثـار العلم الطبيعية التى حققت باكتشافها للقـــوانين التى تخضع لها الظواهر الطبيعية الكثير من النتائج اليقينية ، وحـــاول اللغويون البحث عن قوانين مماثلة ليتقدم البحث فى اللغة ويدخل فى مصاف العلوم الدقيقة •

وفى ميدان البحث فى اللغات السامية تركز الاهتمام حتى القرن السادس عشر على لغات الكتب الدينية وهى العبرية والآرامية والعربية ، وبدأت دراسة الحبشية فى القرن السابع عشر واستمرت العناية بالعبرية والآرامية والعربية ، ومن أوائل اللغويين الممتازين فى علم اللغـــات الســـامية جيزينيوس Gesenius (١٨٧٦ – ١٨٤٢) ، وقد ألف كتابا قيما فى نحو اللغة العبرية ، ومعجمـا للعهد القديم ذكر فيه معنى كل كلمة وردت فيـه وبعض أماكن وجود الكلمة فى النص العبرى أو فى الاسفار الآرامية للعهد القديم ، وســـجل كذلك

المفردات المقابلة فى اللغات السامية الاخرى التى كانت معروفة آنذاك . وما يزال هذا المعجم أهم معاجم اللغة العبرية الى الآن ، وكان جيزنيوس أول من نجح فى فك رموز الكتابة العربية الجنوبية فقد استطاع سنة ١٨٤١ التعرف على عشرين حرفا من حروفها التسعة والعشرين ، وكان جيزينيوس كذلك صاحب فضل فى دراسة النقوش الفينقية على نحو علمى دقيق . لقد انطلقت الأبحاث فى القرن التاسع عشر الى لغات جديدة وآفاق واسعة وأميط اللثام عن الاكادية هذه اللغة السامية التى نقلت الينا حضارة العراق القديمة، وبدأ البحث فى العربية الجنوبية القديمة والفينقية ولم تقتصر الكشوف والابحاث الأوربية على هذا بل تعدتها الى جمع مزيد من النقوش والنصوص المدونة واللهجات الحية من مختلف أنحاء الشرق. واذن فقد زادت المادة اللغوية التى يستطيع الباحث مقارنتها زيادة ملحوظة وبدأت صورة اللغات السامية تتضح جغرافيا وتاريخيا . وحدث فى نفس الوقت تقدم منهجى ملحوظ فى علم اللغات الهندية الاوروبية ، وبدأ الباحثون فى اللغات السامية يستفيدون من النتائج التى توصل اليها المنهج المقارن فى البحث اللغوى ، وأفاد بروكلمان من كل هذه الانجازات العلمية التى سبقته .

وفى مجال النحو المقارن للغات السامية لاحظ بروكلمان ان جهود نولدكه وبراتوريوس وهاوبت ، وتسمرن ولندبرج هى أهم الجهود التى سبقته ، وهؤلاء جميعا من الباحثين الاوربين فى القرن التاسع عشر وقد أسهموا فى دراسة اللغات السامية دراسة مقارنة أو دراسة وصفية للغة منها أو لبعض مستوياتها ، وتوسلوا فى هذه الدراسة الوصفية بالمنهج المقارن لايضاح جوانب فى اللغة قيد الدراسة .

كان تيودور نولدكه (١٨٣٦ - ١٩٣٠) رائدا فى تطبيق المنهج المقارن فى الدراسة الوصفية الدقيقة ، كان كتاباه (النحو المندعى » و«النحو السريانى الحديث » أول تطبيق عملى للمعرفة بااللغات السامية فى دراسة نحو هاتين اللهجتين الآراميتين . وبجانب هذا فقد أسهم تيودور نولدكه بدراسات عظيمة القيمة حول اللغة العربية ولهجاتها القديمة ، وبجانب نولدكه عرف البحث العلمى فى اللغات السامية جهود العالم الالمانى براتوريوس (١٨٤٧ - ١٩٢٧) وقد أشاد بروكلمان بجهود براتوريوس فى دراسة اللغة الحبشية فى ضوء المقارنات السامية ، وأشاد كذلك بدراسات الباحث هاوبت فى الآشوريات أو - كما نقول اليوم - فى الاكاديات ، وكان هاوبت ممن استفادوا فى أبحاثهم فى الاكادية من اللغات السامية الأخرى .

وفى مناهج البحث المقارن استفاد بروكلمان فى المقام الأول من أستاذيه بروجمان فى مجال مناهج البحث المقارن عموما ونولدكه فى علم اللغات السامية بصفة خاصة . وقد درس عليهما صاحبنا فى جامعة ستراسبورج. ولتيوذور نولدكه دراسات قيمة رائدة فى النحو المقارن للغات السامية ، نشر أهمها فى مجلدين ظهرا بعنوان « دراسات جديدة فى علم اللغات السامية » . ومن أهم أبحاث نولدكه فى النحو المقارن ما كتبه حول : « الاسماء ذات الأصل الثنائى فى اللغات السامية ، » وما تزال لهذه الدراسة قيمتها العلمية الى يومنا هذا . وبجانب نولدكه فلكل من بارت (١٨٥١ - ١٩١٤) ولاندبرج وتسيمرن جهود سابقة على بروكلمان فى المقارنات السامية ، أولهم بدراسات حول « أبنية الكلمات فى اللغات السامية » ، و « أبنية الضمائر فى اللغات السامية » . والثانى والثالث بالمحاولات الاولى للتأليف فى « النحو المقارن للغات السامية » . ذكر بروكلمان كذلك وليام رايت (١٨٣٠ - ١٨٨٩) الانجليزى الذى أصدر سنة ١٨٩٠ كتابا بعنوان : محاضرات فى النحو المقارن للغات السامية ، وصفه بروكلمان بأنه ظهر متخلفا اذا ما قيس بعصره .

ولم يستفد بروكلمان من جهود أصحاب المقارنات وحدهم ، بل استقى المادة اللغوية كذلك

من دراسات اللهجات العربية الحديثة التى أعدها اللغويون الأوربيون فى القرن التاســـع عشر وأوائل العشرين ، أشاد بروكلمان بجهود الباحث السويدى لاندبرج (١٨٤٨ ـ ١٩٢٤) فى بحث لهجات المشرق العربى ، وبجهود شتومه (١٨٦٤ـ ١٩٣٦) فى دراسة لهجـــات المغرب • فى ذلك الوقت كان التحقيق العلمى للـكتب العربية قد حقق فى أوربا بعض ثماره العلمية ، فكان أمام بروكلمان وقت تأليفه لكتاب الاساس كتب لغوية كثيرة : منها « كتاب سيبوية » الذى ألف فى القرن الثانى الهجرى وظل حتى القرن الســابع الهجرى أساس تدريس النحو فى العالم الاسلامى ثم توارى بعد ذلك ليحققه لنـــا عالم فرنسى هو ديرينبور سنة ١٨٨٩ ومنها كتاب « درة الغواص فى أوهام الخواص » للحريرى وقد حققه العـــالم الألمانى توربكه (١٨٣٧ ـ ١٨٩٠) وطبع سنة ١٨٧١ ، وكتاب درة الغواص كتاب من كتب لحن العامة التى أدرك المستشرقون قيمتها فى وقت مبكر ، وتقدم هذه الكتب بعض مظاهـــر التطور اللغوى التى اعتبرهــــا اللغويون من العرب من اللحن والخطأ ، ويستفيد منها اللغويون المحدثون لرصد جوانب التطور فى اللغة العربية فى العصر الاسلامى • كان المحقق منها وقت تأليف بروكلمان لكتاب الأساس بضع كتب منهـــا درة الغواص للحريرى ، وغلط الضعفاء من الفقهـاء لابن برى بتحقيق المستشرق تورى ، وحقق بروكلمان بنفسه أقدم كتب لحن العامة وهو كتاب ما تلحن فيـــه العامة المنسوب للكســـائى ، ومهدت كل هـــذه الجهود الطريق العلمى أمام بروكلمان ليؤلف كتابه الأساس فى النحو المقارن للغات السامية •

تصنيف اللغات السامية :

خصص بروكلمان مقدمة كتابه « الأساس فى النحو المقارن للغات السامية » للحديث عن قضايا النحو المقارن وتوزيع اللغات الســـامية ، كان المؤلف يهدف بكتابه هذا الى دراســـة اللغات السامية فى عصرها التاريخى واحدة واحـــدة تمهيدا لوضع الظواهر المختلفة فى هذه اللغـــات

SYRISCHE GRAMMATIK

VON

CARL BROCKELMANN



OTTO HARRASSOWITZ · LEIPZIG

فى نظام علمى متكامل • لقد أبعد بروكلمان بهذا الفهم العلمى لطبيعة الدراسات اللغوية نشـــأة اللغة أو محاولة اعادة تكوين اللغة السامية الأم عن مجالات البحث اللغوى ابعادا ، وفى هـــذا الصدد يقول بروكلمان : ليس لنا أن نســـلم أنفسنا ولو مرة واحدة لوهم امكان اعادة بنـــاء اللغة الأم المشتركة ولو على نحو تقريبى بمقارنة اللغات المفردة • ان ما نفترضه صـــيغا سامية قديمة ليست الا الصيغ التى يتضح منها المستوى الحالى لمعارفنا عن تطور الظواهر المختلفة فى كل لغة من اللغات وعن علاقاتها المتبادلة • وهـــكذا يرى بروكلمان أن قضية اعادة بناء اللغة السامية الأم لم تعد مما يهتم به الباحثون الجادون فى علم اللغة ، ومن ثم فقد خرجت هذه القضايا عن علم اللغة ، وكفى اللغويين دراسة اللغات فى عصرها التاريخى المدون فى النقوش والنصـــوص وفى عصرها الحاضر بصورها المنطوقة والمدونة •

دخل بنا بروكلمان بعد هذا الى وحدة اللغـــات السامية وتصنيفها اللغوى وتوزيعها الجغرافى ـ التاريخى ، بدأ حديثه هذا بفصل عنوانه «اللغات والشعوب السامية » ، أشـــار فيه الى محـــاولات التعرف على اللغات الداخلة فى اطار ما يسمى باللغات السامية ، فالنحاة اليهـــود عرفوا فى الاندلس ما بين العربية والعبرية من علاقات ، واللغويون الاوربيون عرفوا فى القرن الســابع

عشر ما يربط اللغتين باللغتين الارامية والحبشية من أواصر القرابة ، ثم كان فك رموز الكتابات الاكادية والفينيقية والعربية الجنوبية مكملا لصورة اللغات السامية • كما كانت تبدو فى أوائل القرن العشرين •

ثم فرق بروكلمان فى وضوح علمى وموضوعية رائدة بين القرابة اللغوية والقرابة العرقية أو العنصرية ، فاللغات السامية تكون أسرة واحدة ، وليس معنى هذا بالضرورة أن المتحدثين أو الكاتبين باللغات السامية كانوا من أصل واحد • يقول بروكلمان « ان اللغات لا تنتقل من جيل الى جيل فحسب ، فليس من النادر أن يفرض شعب ما لغته على شعب آخر ، فيكاد يكون مؤكدا أن كثيرا من البابليين لم يرثوا لغتهم عن أجدادهم ، وكثير من أهل الشام المتحدثين بالعربية والارامية ليسوا من أجداد ساميين •• وربما يتضح الاصل غير السامى واضحا للناظر الى المتحدثين فى الحبشة بلغات سامية ، بيد أن الشعب الذى انتشر جنوبا وشمالا • وفرض لغته على غيره ، كان يعيش دون شك فى منطقة ما هى مهد الساميين الاوائل • « فهناك اذن شعب سامى قديم انتشرت لغته وتطورت لتكون اللغات السامية المختلفة ، التى تحدثت بها شعوب مختلفة الاصول متنوعة الدماء ، هناك اذن لغات سامية وهى تكون أسرة واحدة انحدرت من أصل واحد مشترك ، وانتشرت بعد ذلك فتحدثت باللغات السامية شعوب مختلفة فى الشرق ، ولكن لا صحة لوهم البعض أن الشعوب المتحدثة باللغات السامية انحدرت من أصل عرقى واحد •

حاول بروكلمان بعد هذا أن يتحدث عما يربط اللغات السامية باللغات والاسرات اللغوية الاخرى يقول : « كلما تقدم بحث البنية اللغوية للغة المصرية فى أقدم صورها ـ كما تبدو لنا فى نصوص الاهرام ـ ظهر التشابه مع اللغات السامية • •وكان بروجش قد افترض أن اللغة المصرية القديمة لغة سامية •• وفسر ارمان خصائص اللغة المصرية القديمة بأنها كانت قد انفصلت فى وقت مبكر عن اخواتها وسلكت آلاف السنين طرقها الخاصة بها » • ويمضى بروكلمان بعد هذا الى اللغات الحامية ليرى انها تمت بصلات الى اللغات السامية • مما دعا الى افتراض انفصالها فى وقت سابق بخروج اللغة المصرية فى طريقها الخاص بعيدا عن اللغات السامية • ولكن بروكلمان يرفض بشدة كل المحاولات الفاشلة لعقد علاقات بين اللغات السامية واللغات الهندية الاوربية قائلا بأن كل هذه المحاولات لم تؤت ثمارا علمية •

ومضى بنا بروكلمان بعد هذا مفصلا القول فى اللغات السامية واحدة واحدة ، وجاء الفرع الشرقى من اللغات السامية فى أول حديثه هذا ، ويضم هذا الفرع اللهجات التى كانت فى العراق القديم منذ هجرة الساميين اليه فى منتصف الالف الثالث قبل الميلاد ، وكان الباحثون يطلقون على التخصص فى اللغات السامية فى العراق القديم اسم « الآشوريات » نسبة الى اللغة الاشورية ، ولكن بروكلمان يفضل تسمية هذه اللغة بالبابلية والواقع أن البابلية وان كانت لغة جنوب العراق واللغة الاقدم ، وأن الاشورية وان استمدت شهرتها من العوامل الحضارية والسياسية ، فان معظم اللغويين المعاصرين يميلون الى اطلاق اسم « الاكادية » لتضم كل اللهجات البابلية والاشورية تحدث بروكلمان عن الخط المسمارى الذى وصل الينا فى الالواح الأكادية ، ذلك الخط الذى تعلمه الأكاديون من أسلافهم السومريين ، وهؤلاء لا يمتون بصلة القرابة الى الساميين الوافدين على الاطلاق ، وذكر بروكلمان كذلك تأثر الأكادية بالألفاظ الحضارية السومرية التى دخلت الاكادية مع السلع الحضارية السومرية ، وانتقلت هذه الألفاظ من الاكادية بعد ذلك الى لغات سامية مختلفة مثل العبرية •

أما المجموعة الكنعانية من اللغات السامية فضمت فى أقدم صورها مجموعة الهوامش الكنعانية القديمة التى ترجع الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وهذه الهوامش دونت حول رسائل أكادية أرسلها أمراء فلسطين فى ذلك الوقت الى ملك مصر • وكانت الاكادية آنذاك لغة مراسلات دولية ، بينما كانت الكنعانية لغة هؤلاء الأمراء الفلسطينيين • وقد لاحظ بروكلمان

فى هذه الهوامش الكنعانية تحول الفتحة الطويلة (راس) فى السامية القديمة كما تشهد بذلك العربية ـ الى ضمة طويلة (روش) وهذا التحول سمة عامة فى كل اللهجات الكنعانية · ذكر بروكلمان بعد هذا نقش الملك المؤابى ميشع الذى اكتشف سنة ١٨٦٨ ويحتفظ به الآن متحف اللوفرببباريس ، والملاحظ هنا أنه لم يذكر المؤابية كلغة كما يفعل البعض ، بل ذكر النقش لا أكثر ولا أقل ، وهذا تعبير يصدق مع واقع الأمر · ثم تحدث بروكلمان عن « العبرية الاسرائيلية » ،هذه اللغة التى وصلت الينا فى العهد القديم بأقسامه المختلفة ، ويرجع أقدم أقسامه الى مرحلة دخول قبيلة اسرائيل أرض فلسطين ، وهذا القسم هو نشيد دبورا (سفر القضاة /٥) ، وهنا يتساءل بروكلمان الذى سبق له ان فرق بين اللغة وبين الشعب ، وعرف أن شعوباً تعلمت لغات غريبة عنها وأهملت لغتها الأولى ، يتساءل دون اجابة حاسمة عن ارتباط العبرية بقبيلة اسرائيل ، فهل كانوا من عناصر سامية تحدثت بالعبرية قبل دخولها فلسطين ؟ أم أنهم تعلموها من السكان الكنعانيين الاصليين ؟

يقول بروكلمان ان الفصل فى هذه القضية لم يعد ممكنا بالدليل العلمى القاطع ، ومضى المؤلف بعد هذا ليحدثنا عن تدوين سفر سيراخ بالعبرية حوالى سنة ٢٠٠ ق م ، وعن التأثيرات الآرامية فى الكتب التى دونت متأخرة من كتب العهد القديم مثل سفراستير وبعض المزامير ، ثم تحدث عن عمل رجال « الماسورا » فى ضبط النص العبرى بالحركات ، وتم هذا فى مناطق مختلفة من العراق والشام أى فى بيئة لغوية آرامية ، الا أن بروكلمان يرى أن الارامية لم تؤثر فى عمل رجال الماسورا التأثير المتوقع · وهذه القضية فيها نظر ·

ثم يتحدث بروكلمان عن الفينيقية وهى احدى لغات الفرع الكنعانى ، وقد وصلتنا هذه اللغة فى نقوش يرجع أقدمها الى القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد · ويلاحظ بروكلمان هنا أن طبيعة الكتابة التى لا تعرف الحركات جعلت الباحثين يعتمدون على الكلمات الفينيقية التى دونت بالخط اليونانى للتعرف على طبيعة الحركات فى الفينيقية · ويشير بروكلمان الى اختلاف أسلوب النقوش الفينيقية عن أسلوب النص العبرى للعهد القديم · كما ذكر لك أن الفينيقية طورت مثل العربية امكانية لغوية للتعبير عن الماضى البعيد باستخدام كان والفعل الماضى أما الفينيقية امتدادها الافريقى فيطلق عليها الباحثون اسم « البونية » ويلاحظ بروكلمان ان فى النقوش البونية ضعف الاحساس بأصوات الحلق شيئا فشيئا والخلط بينها فى الكتابة ، غير أنه يرجع وجودها كلغة حديث حتى القرن الخامس الميلادى

وهكذا ذكر بروكلمان ضمن المجموعة الكنعانية اللهجات العبرية والفينيقية بجانب الكنعانية القديمة ونقش مؤاب ،يعكس هذا مستوى البحث وقت تأليف الكتاب ، ولكن لغة سامية جديدة اكتشفت بعد ذلك فى سنة ١٩٢٩ على الساحل السورى فى أطلال مدينة أجريت القديمة هى الأجريتية · وبهذا اكتملت صورة اللغات الكنعانية على نحو لم يتح لبروكلمان · وفوق هذا فان الكتابات العبرية التى اكتشفت بالقرب من البحر الميت والتى يطلق عليها اسم « لفائف قمران (بضم القاف) ، وكذلك ما وجد فى كنيس اليهود بمصر القديمة من أوراق قديمة أطلق عليها اسم « جنزا القاهرة » ، كل هذه الكشوف فى مجال اللهجات الكنعانية غيرت الصورة التى أتيح لبروكلمان أن يرسمها للفرع الكنعانى من اللغات السامية الى حد ما ·

أما الآرامية فقد نالت من اهتمام بروكلمان قدرا كبيرا ، ويحكى لنا أن النقوش الاكادية ذكرت فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد اسم الآراميين · وعندما حل الفرس ـ بعد ذلك بقرون ـ محل الآشوريين فى حكم العراق أصبحت الآرامية لغة التعامل الدولى فى المنطقة ، وها هى النقوش الآرامية كتبت واكتشفت فى آسيا الصغرى وجنوب مصر ، وكأن الارامية قد صارت لغة عالمية للتعامل بين المتحدثين بلغات محلية أخرى · ويتحدث بروكلمان بعد هذا عن النصوص واللهجات الارامية المختلفة ، فهذه آرامية العهد

القديم التى نجدها فى أسفار عزرا ودانيال ، وهذه هى الآرامية النبطية ، والآرامية التى كتب بها سكان البتراء ، ثم الآرامية التى تحدث بها أهل الشام وقت ظهور المسيح ، ثم آرامية الترجوم التى ترجم اليها اليهود العهد القديم بعد أن ضعف فهمهم للعبرية .

وتحدث بروكلمان بعد هذا حديثا أكثر تفصيلا عن اللهجة السريانية التى كانت ذات أهمية كبرى فى تاريخ المسيحية . وكان السريان أداة نقل حضارى الى الغرب ومن الغرب ، وكانوا متمثلى الثقافة الهلينيسية وحامليها مع المسيحية الى حدود الصين والتركستان وهمزة الوصل فى نقلها الى العرب . تحدث بروكلمان كذلك عن الآرامية المندعية ، هذه التى تمثل فى رأى بروكلمان تطورا طبيعيا قائما برأسه ، لم تتأثر بالعبرية كاللهجات الآرامية المرتبطة بالترجوم أو بالعهد القديم أو بالتلمود ولم تتأثر باليونانية كالسريانية فكانت المندعية ـ لغة الصابئة ـ تطورا لغويا آراميا خالصا ، وحديث بروكلمان عنها يعكس تتلمذه على نولدكه صاحب كتاب « النحو المندعى » أما الآرامية الحديثة فذكر بروكلمان وجودها فى المعلوله وبحنا وجب عابدين ، وكان البحث آنذاك لا يعرف من القرى الآرامية الا عددا متواضعا من اللهجات الارامية الحديثة فى شمال العراق وايران .

ويطول بنا القول لو تحدثنا عن كل ما ذكره بروكلمان فى مقدمة كتابه : « الأساس فى النحو المقارن للغات السامية » ، وقد قسم بروكلمان العربية الى جنوبية وشمالية . ولنقرأ معا قول بروكلمان « جاءت آخر موجه من الهجرات السامية بالعرب من الصحراء الى البلاد الزراعية ، وجعلت من لغتهم وريثا لكل اللغات السامية تقريبا » . والعربية ـ كما لاحظنا ـ تكون مع الحبشية الفرع الغربى الجنوبى من اللغات السامية، فى مقابل الفرع الغربى الشمالى الذى يضم اللهجات الكنعانية والآرامية . وهى تتميز عن هذه اللغات بالاحتفاظ بأصوات الحلق والأرامية .وهى تتميز عن هذه اللغات بالاحتفاظ بأصوات الحلق والاصوات بين الأسنانية فى صورتها الأصلية المتعددة الظلال على نحو أكمل وكذلك بالاحتفاظ الادق بالحركات القديمة . ان نظام الصيغ السامى القديم يظهر هنا فى شكل مصقول ثرى يكاد يستوعب كل الامكانيات ، وبهذا سمت القدرة التعبيرية للغة فى استخدام الفعل سموا بعيدا ، بيد أن جموع التكسير المتشعبة تطورت بصيغ جموع الأسماء تطورا تضخميا ضارا » . هذا رأى من آراء بروكلمان فى العربية ، ثم ذكر صاحبنا بعد هذا نقش النمارة من سنة ٣٢٨ م كأقدم نص عربى محتفظ بأقدم الخصائص اللغوية التى نعرفها فى العربية، وذكر بعد ذلك نقش زبد من سنة ٥١٢ ، أو ٥١٣ م ونقش حران من سنة ٥٦٨ م ثم عرض بعد ذلك للغة الشعر الجاهلى .

وهناك ملاحظة لبروكلمان حول المسهمين فيه، يقول : لم يسهم فى ابداع الشعر الا شعراء الحجاز الاوسط ومنطقة نجد وما جاورها .. ولم يكن للعرب الخاضعين للروم الا دور المتلقين » وهنا نود أن نلاحظ أن المعيار اللغوى الذى وضعه اللغويون فى القرن الثانى الهجرى ، فيصلا فى صحة لغة الشعر كان من أسباب تسجيلهم لما سجل من شعر نجد والحجاز وعلة رفضهم وعدم تسجيلهم للغة من تاخموا الحضر من العرب ،ويبدو أن هذا هو السبب أنه لم يصل الينا شعر لهؤلاء المتاخمين لبلاد الروم بنفس القدر الذى وصلنا به شعر غيرهم . ويمضى بنا بروكلمان بعد ذلك متحدثا عن لغة القرآن الكريم عن العربية المولدة مشيرا الى أثر القبطية فى لهجة مصر مصنفا اللهجات العربية الحديثة ، وبهذا ينتهى حديثه فى مقدمته عن اللغة العربية .

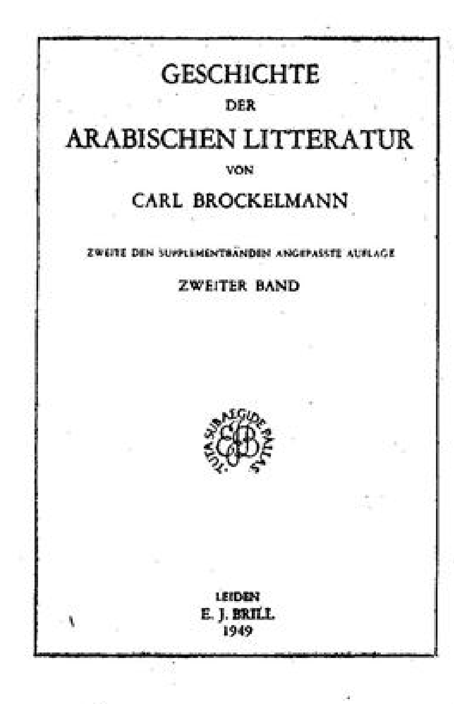
وقبل أن ننتهى من عرض بروكلمان نشير الى أنه ذكر العربية الجنوبية فى لهجتين هما : السبئية والمعينية ، وقد وصلتنا هذه اللهجات فى نقوش زادت معرفتنا بها بعد كتاب بروكلمان وذلك بفضل جهود الاثريين واللغويين الذين جابوا اليمن جمعا للنقوش . ورغم اتضاح صورة

اللهجات الجنوبية القديمة اتضاحا لا يكاد يقارن بما أتيح لبروكلمان ، فان المعرفة باللهجات العربية الجنوبية الحديثة فى المهرة والشحر وسوقطره لم تكد تزيد شيئا مذكورا ، وكان البحث قد وقف دون هذه المنطقة • وتحدث بروكلمان كذلك عن الحبشية بلغتها القديمة المسماة بالجعزو بلغاتها الحديثة مثل الأمهرية والتجرى، وقد تطور البحث فى هذه اللغات أيضا تطورا بعيد المدى وتطورت الأمهرية ونما تراثها حتى أصبح ما كتبه بروكلمان عن اللغات السامية فى الحبشية يفتقر الى الاكمال والتعديل •

وفى العقد الخامس من القرن العشرين كتب بروكلمان أول عرض كامل شامل للغة العربية ولهجاتها عبر القرون • ونشر هذا العرض سنة ١٩٥٤ فى كتاب اشترك فيه عدد من المستشرقين وتتضح من الصفحات الخمسين التى ضمها هذا العرض التاريخى اهتمام المؤلف ومعرفته الوثيقة ونظرته الفاحصة الناقدة فى كل الابحاث الجزئية التى سبق أن أعدت فى تاريخ اللغة العربية تناول بروكلمان لهجات النقوش العربية القديمة ،هذه التى سبقت أحدث ما وصل الينا من نصوص الشعر الجاهلى بعدة قرون ، ثم تناول اللهجات العربية فى جزيرة العرب • وجاء بعد دور الحديث عن العربية فى العصر الاسلامى • ولم يكد يكتب عنها فى ذلك العصر شيئا حتى مضى بنا الى عرض موجز لبعض المظاهر اللغوية فى بنية اللهجات العربية ، وقد أنار الطريق وأرشد الى أهم الأبحاث فى هذا الميدان •

٧ ـ الظواهر اللغوية والمقارنات

اتبع بروكلمان فى تصنيفه للظواهر اللغوية فى اللغات السامية المنهج الذى درج عليه علم اللغة الحديث : وكان أن بدأ كتابة بالظواهر الصوتية ثم جاء دور الكلمة ثم الجملة • وهذا الترتيب الذى عرفته كتب النحو العربى ، فكتاب سيبويه يبدأ بالجملة فالكلمة فالصوت• ودراسة بروكلمان لكل هذه الجوانب مرحلة بعيدة فى العرض


GESCHICHTE
DER
ARABISCHEN LITTERATUR
VON
CARL BROCKELMANN
ZWEITE DEN SUPPLEMENTBÄNDEN ANGEPASSTE AUFLAGE
ZWEITER BAND
LEIDEN
E. J. BRILL
1949

والمضمون عن المتعارف عليه عند النحاة العرب، فوق أنها تستفيد من جهودهم استفادة تامة • ففى الأصوات نجد كارل بروكلمان يتحدث عن المقاطع والنبر ويفسر كثيرا من ظواهر اللغة على أساس الضوابط التى طورها البحث اللغوى الحديث لدراسة المقاطع والنبر •

لنقف قليلا عند حديثه عن بداية المقطع وهو يقول : « يبدأ كل مقطع فى اللغات السامية ـ أساسا ـ بصوت صامت واحد » ، لنجده يفصل هذا بعد ذلك بأمثلة يزيل ما يعلق من لبس فى هذه العبارة ، ففى بعض الكلمات يبدو المقطع الأول فيها وكأنه يبدأ بصوتين صامتين ، نجد هذا مثلا فى الكلمة الثانية من العبارة : قال اخرج فهذه الكلمة فى هذا التركيب تبدأ بالخاء ، والخاء صوت صامت ، وتليها الراء، والراء صوت صامت كذلك ، الراء تلى الخاء مباشرة لا تفصل حركة هنا بين الخاء والراء ، وهكذا ينهج بروكلمان ما تواضع عليه علم اللغة الحديث من اعتبار المنطق أساسا والصورة المدونة فرعا وأن التحليل اللغوى ينطلق من النطق وقد دون بالخط الصوتى الدقيق لا من الكتابة ومواضعاتها العرفية التاريخية • ولنمضى مع بروكلمان قليلا وهو يشرح لنا بداية المقطع

فى الكلمة المذكورة لنجده يقول : ان صوت الحاء اما أن يعتبر ملحقـا بالكلمة الأولى ، ليكون التقسيم المقطعى للعبارة على النحو التالى : قا / لخ / رج ، أو تاليا لحركة سابقة على الحاء لو نطقنا بالكلمة وحدها : ء ج / رج وهنا نلاحظ أن المقطع السامى لا يبدأ الا بصامت واحد • ويمضى بنا بروكلمان فى ايضاحه لطبيعة بداية المقطع فى اللغات السامية ليحدثنا عنظاهرة توالىالصامتين فى أول المقطع ، وهذه الظاهرة نجدهـا مثـلا عندما يعود القارىء بسمعه الى لهجة المغربوأحد أبنائها يقول حسن ، فيكاد ينطق الحاء دونحركة تليها ثم السين ، فكأن الكلمة بدأت بصـامت (الحاء) جاء بعده مباشرة ثم صـامت آخـر (السين) •

ويطول بناء القول لو عرضنا لكل ظواهـر بداية المقطع أو وسط المقطع أو آخر المقطع وسائر الظواهر الخاصة بالمقاطع فى كتاب الأساس ، الا أن رأى بروكلمان فى النبر جدير بكلمة قصيرة ، والنبر من الظواهر التى اكتشـفها فى اللغات السامية علم اللغة الحديث ، وعلق عليه بروكلمان مسئولية التغير فى الصيغ ، فهو يرى أن النبر فى اللغة السامية الأولى كان حرا ثم أدى نبر مقاطع بينها الى تغيرات فرضتها طبيعة النبر فى كل لغة من اللغات السـامية • ولنقرأ قول بروكلمان فى هذا عن لهجـة المغرب العربية وعن اللهجـات الارامية ، يقول : « تتحول كل حركة قصيرة فى مقطع مفتوح سـابق على المقطع المنبور الى حركة مختلسة » وهذه الملاحظات التى يسجلها اللغويون اعتمادا على الواقع اللغوى هو ما يطلق عليها فى الاصوات اسم « القوانين الصوتية » نجد تحول الحركة القصيرة الى مختلسة فى الأمثلة مثل : قتل (= قتل) بسكون القاف أو باختلاس الحركة ، وهذا ما نسمعه من المغاربة عندما ينطقون بتلك الكلمة أو بكلمة عالمين (= عالمين) بسكون اللام أو فى كلمة حمار (= حمار) بسكون الحاء • كل هذا كان فى مقاطع غـير منبورة أى تنطق دون ضغط صوتى عليهـا ، وهى مقاطع مفتوحة أى كانتمنتهية بحركة لا بصامت • والقانون الصوتى المذكور لاحظه بروكلمان فى اللهجات الآرامية كما لاحظه فى لهجات الغرب العربية ، ومن هنا تتضح وحدة الدراسة العلمية للغات السامية •

أما المقابلات الصوتية بين اللغات السـامية المختلفة فقد نالت اهتمام بروكلمان ولننظر مثلا فى الجدول الذى وضعه لما يقابل الصوت السامى المفترض فى اللغات السـامية واحدة واحدة ، فالسين العربية تقابل سينا فى الحبشية ،ولكنها تقابل شـينا فى كـل من العبرية والارامية والاكادية • نجد هـذا مثلا فى كلمة تسـع (العربية) تسع (الحبشية) ، تشع (العبرية) تشع (الارامية) ، وتشيت (الاكادية) وهـكذا ينتقل بنا بروكلمان الى مقارنات تناول الصوت الواحد وظواهر التركيب الصوتى أو طبيعـة المقاطع أو النبر •

هذا وقد خصص بروكلمان النصف الثـانى من الجزء الأول لبناء الكلمة فى اللغات السامية، وبناء الكلمة أو الصرف هو القسم الثـانى فى تصنيف اللغويين المعاصرين يأتى بعد الأصوات وقبل بناء الجملة • وحسبنا أن ننظر فى فقرة من فقرات هذا القسم لنتبين منهج بروكلمـان ووسائله فى البحث • يتحدث بروكلمـان عن الضمير « أنا » وهو كما يقول اللغويون ضمير المتكلم المفرد أو ضمير الشـخص الأول المفرد • لا يجادل بروكلمان جدل النحاة فى علة البناء، أو فى مدى شبه هذا الضمير بالحرف ، فكل هذا عبث ارتفع البحث اللغوى عنه ليتمسك بالواقع اللغوى • والواقع هنا هو الصيغ اللغوية المختلفة يفسر بعضها بعضـا • يرجح بروكلمـان أن « الضمير » « انا » نتج عن قسمين ، أن + أ = القسم الأول يتكرر فى ضمائر المخـاطب : أنت ، أنت ، أنتما ، أنتم أنتن • والقسم الثانى يوازى التاء فى أحرف المضارعة ، فللمتكلم «أ» وللمخاطب « ت » ويقارن بروكلمان بعـد هذا سـائر الصيغ الخاصة بهذا الضمير ، وقد لاحظ أن المقطع الثانى من هذا الضمير ذو حركة طويلة (= مد الألف) ،

ولكن هـــذه الحركة لا تكاد تظهر فى الشـعر طويلة الا نادرا ، فهى فى معظم الأحوال قصـيرة وكأنها (أن) ولعل أكثر مالاحظه بروكلمـــان طرافة فى هـــذه الفقرة أن اللهجـــة الحضرمية انفردت بالفصل بين ضمير المتكلم وضمير المؤنث المتكلم ، فللمذكر « أنا وللمؤنث « أنى » ٠

وتحدث بروكلمان فى دراسة الصرف عن الاعراب وهذا موضوع يدخل عند اللغويين المعاصرين بين مباحث الكلمة لا الجملة ٠ فالكلمة تتحدد هويتها وفق مقومات ثلاث هى العدد (الافراد / التثنية / الجمـــع) والجنس (التـــذكير ـ التـــأنيث) والحالة الاعرابية (مبنى ممنوع من الصرف معرب ٠٠) فالكلمـــة تعرب أو تبنى أو تمنـــع من الصرف لخصائص ترجع الى ظواهر بنائها ، ومن ثم فدراسة النهايات الاعرابية تدخل عندهم فى بناء الكلمة ٠ ولا يتحدث بروكلمان فى هذا عن العربية وحدها، بل يقارنها بالأكادية ليخـرج أن الاعراب قديم ، ثم يفصل القول فى علامات النصب التى توسلت بها اللغات السامية المختلفة ، ثم يأتى دور الأبنية وهنا يفيد بروكلمان من جهود الصرفيين العرب فيما عرفوه عن الميزان الصرفى ، ولكنه يتوسـل كذلك بوسائل لم تكن فى متناول النحاة العرب ، فهو يتحدث عن أسماء كانت ثنائية ثم تطورت فى اتجاه الثلاثى منها أب ، وفم ، ويد ، ودم ، وعضة (مأخوذة من عض) وحديثه هنا مدعم بالمقارنات وبدقة اللغويين ٠

وهذا وقد خصص بروكلمان الجزء الثانى من كتابه لبناء الجملة ، وتختلف دراسة بناء الجملة عند بروكلمان عنهـــا عند النحاة العرب ٠ نظر النحاة الى الجمـــلة كمجموعة من علاقات العـــامل والمعمول ، وشغل العامل والبحث عنه وتفسـيره قدرا كبيرا من دراسة النحاة للجملة ، ولكن البحث الحديث ينظر الى الجملة كوسيلة للتعبير ، ومن هنا يدخل المعنى فيصلا أساسيا فى تصنيف وسـائل التعبير المختلفة ٠ فبروكلمان لا يتحدث فى دراسته لجملة الشرط عن العامل ولكنه ينطلق من الصيغة مسجلا اياها محددا دلالتها ٠ وهو يفرق هنا بين الشرط الحقيقى وغير الحقيقى ، ويحدد الأدوات فى كل ضرب وصيغ الأفعال وحالتها ٠٠٠ الخ ويكفى أن نشير هنا الى أن دراسة النحاة للشرط كانت ضمن جزم المضـــارع ، وعلى هذا فلا مكان فيهـا لدراسة الدلالات الخاصة بعبارات مثل (لو كنت فعلت ٠٠٠ لما حدث ٠٠) فالفعل هنا ليس مضارعا والصيغة مركبة ، وكل هذا لم يكن يشغل النحوى العربى القديم ٠ ان دراسة بناء الجملة عند اللغويين المحدثين تربط بين مجال النحو القـــديم ومجال البلاغة لتكشف لنا الجملة وسيلة للتعبير وكان هذا شأن بروكلمان ٠

وبعد ، فقد مضى على ظهور كتاب « الأساس فى النحو المقارن للغات السامية » حوالى ستين عاما، اكتشفت فيها لغة سامية جديدة وظهـــرت آلاف النقوش بلغات سـبقت لنـــا معرفتها ، وحققت عشرات كتب النحـــو واللغة وطبعت آلاف كتب التراث ، وتطورت مناهج جديدة فى دراسة اللغة ، ولكن كتاب الأساس ظل أساســا طيبـــا ومنطلقا خصبا لدراسة اللغات السامية ٠

٨ ـ بروكلمان استاذا جامعيا :

لقد عاش بروكلمان حياة علمية حافلة بالتأليف والتدريس ، والبحث العلمى والتدريس جنـــاحا الجامعة لاتكتمل الا بهما ، وبروكلمان أستاذ عرف هذا حق المعـــرفة وقام بالتدريس فى عدد من الجامعات ، فعين مدرسا بجامعة برسلاو ســـنة ١٨٩٣ أى بعـد حصـــوله على الدكتوراه بثلاث سنوات ، ثم رقى الى وظيفة استاذ مساعد بنفس الجامعة سنة ١٩٠٠ ، وعين أستاذا ذا كرسى بجامعة كونجنز برج وبدأ عمله بها سنة ١٩٠٣ ثم عين استاذا بجامعة هالة سنة ١٩١٠ ، ثم تركها الى برسلاو مرة ثانية سنة ١٩٢٣ ، وفى سنة ١٩٣٣ حدث التحول الى النـــازية فى المانيـــا وتدخلت السلطات فى أمور الجامعة تدخلا لا تجيزه طبيعة الجامعة كمعقل للفـــكر الحر ، فكان على كارل بروكلمان أن يترك منصبه كمدير للجامعة ٠ ولم يعد اليها الا سنة ١٩٣٥ أستاذا فى هاله ، ولم يطل به العمل حتى أوقف عن الاستاذية سنة ١٩٣٦ ثم عاد الى جامعة هاله سنة ١٩٣٧ وظل بها الى أن توفى سنة ١٩٥٦ ٠

ولعل أهم الطلاب الذين درسوا على كارل بروكلمان هم ليتمان ، وبرجشتراسر وشبيتالر ، وفير ، ويوهان فك • كان ليتمان أستاذا فى جامعة توبنجن وله دراسات منوعة فى العربية والحبشية ، وكان برجشترا سر أستاذا للغات السامية بجامعة ميونيخ وله أبحاث قيمة فى اللغة العبرية والدراسات العربية ، وشارك كل من ليتمان وبرجشتراسر فى التدريس بكلية الآداب بجامعة القاهرة • أما شبيتالر وفير فهما أهم متخصصين فى الدراسات العربية والمقارنات فى المانيا الاتحادية ، الأول مهتم بالآرامية وبالنحو المقارن وكذلك بالعربية الفصحى ، وأشرف على عدد من الرسائل فى المعاجم العربية ، ويشرف كذلك مسهما فى اعداد معجم العربية الفصحى » الذى بدأه المستشرق العظيم فيشر منذ سنوات فى القاهرة • والثانى متخصص فى دراسة الحياة اللغوية فى العالم العربى الحديث ، وله فى هذا أبحاث كثيرة اهمها «المعجم العربى الالمانى» الذى ترجم الى الانجليزية لأهميته ودقته ، وأشرف فير على رسائل كثيرة فى اللهجات العربية والعربية الفصحى الحديثة • واما المستشرق يوهان فك استاذ الدراسات الشرقية بجامعة هاله بالمانيا الشرقية فمعروف لدى القارىء العربى بكتابه «العربية» وقد ترجم الكتاب الى الفرنسية والعربية وكل هؤلاء وغيرهم امتداد للبحث العلمى فى اللغات السامية وتلاميذ كرام من غرس بروكلمان •

لقد كرم بروكلمان فى حياته بانتخابه عضوا عاملا أو مراسلا فى كثير من المجامع العلمية والاكاديميات فى العالم ، كان عضوا عاملا فى الاكاديمية السويسرية للعلوم وعضوا مراسلا فى الاكاديمية الألمانية للعلوم فى برلين ، وعضوا فى أكاديمية العلوم فى بودابست ، وعضوا فى الجمعية العلمية السويدية ، وعضوا فى : الجمعية الالمانية للدراسات الشرقية ، والجمعية الآسيوية الملكية فى لندن ، والجمعية الآسيوية فى باريس ، والجمعية الامريكية للدراسات الشرقية فى الولايات المتحدة الامريكية ، والجمعية اللغوية الامريكية ، والمجمع العلمى العربى السورى فى دمشق • وكل هذا تعبير عن تكريم العلماء فى أوربا الغربية واوربا الشرقية وأمريكا والعالم العربى لبروكلمان الذى اسهم فى أكثر من ميدان بدراسات علمية على مستوى عالمى وبعد كفاح علمى طويل نال بروكلمان فى دولته من التقدير أرفع درجاته ومن التكريم اسمى صورة ، فمنحته جمهورية المانيا الديمقراطية سنة ١٩٥١ أرفع أوسمتها بأنقدمت له الجائزة الوطنية الالمانية ، واحتفلت به فى مؤتمر علمى عقد فى العيد المئوى لميلاده •

ولعل أعظم تكريم يحظى به عالم مخلص لعلمه هو أن تنتشر كتبه وتترجم الى اللغات المختلفة ، وفى تعدد طبعات كتب بروكلمان دليل واضح على هذا ، وفى ترجمة عدد من مؤلفاته الى الفرنسية والعربية والانجليزية والتركية والبولندية برهان على مكانته العالمية • واذا كنا مخلصين حقا لبروكلمان مقدرين جهده فليس ثمة تكريم لباحث من أن نمضى فى صمت وهدوء نحو مزيد من البحث العلمى الدقيق ، ولنا فى بروكلمان فى جوانبه المشرقة أسوة حسنة •

٩ـ أحداث حياته وأهم مؤلفاته : جدول زمنى : (١)

١٨٦٨ ميلاده فى ١٧ سبتمبر فى مدينة روستوك ـ المانيا

١٨٩٠ حصوله على الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة ستراسبورج برسالة حول : علاقة كتاب الكامل لابن الاثير بتاريخ الطبرى
Das Verhaeltnis von Ibn-el-Atirs Kamil... zu Tabaris Ahbar er-rusul wal-muluk, Strassburg.

١٨٩١ تحقيق ديوان لبيدبن ربيعة مع ترجمة المانيةومقدمة عن الشاعر طبع فى Leiden

١٨٩٣ تعيينه مدرسا بجامعة برسلاو

١٨٩٥ المعجم السريانى (ــ اللاتينى)
Lexicon Syriacum, Berlin .

(١) اعتمدت فى اعداد هذا الجدول الزمنى على المجموعة القيمة التى تضمها المكتبة العامة لجامعة القاهرة من مؤلفات بروكلمان ومقالاته النقدية • فللعاملين بها خالص الشكر والتقدير •

١٨٩٥ ـ ١٨٩٦ الزيارة الاولى للاستانة موفدا من اكاديمية العلوم فى برلين للاطلاع على مخطوط طبقات ابن سعد

١٨٩٦ نقد كتاب : الدعوة الى الاسلام تأليف آرنولد نشر النقد فى Z.D.M.G. 11-12.

١٨٩٨ تحقيق : ما تلحن فيه العوام للكسائى ، نشر فى Z.A. 13.

١٨٩٨ ـ ١٩٠٢ كتاب : تاريخ الادب العربى فى جزءين G.A.L. Weimar.

١٨٩٩ دراسات فى النحو العبرى والارامى
Beitrage zur hebraeischen und zur aramaeischen Grammatik.
نشرت فى Z.A. 14.

١٨٩٩ كتاب : النحو السريانى
Syrische Grammatik mit Literatur. Chrestomatie und Glossar, Berlin.

١٩٠٠ تحقيق عيون الأخبار لابن قتيبة ، القسم الأول ونشر فى
Semitische Studien hrsg, von Carl Bezold, Heft 18 Berlin.

١٩٠٠ مقال عن الاسلام فى
Jahresberichte der Geschichts wissenschaft, Berlin.

١٩٠٠ تعيينه أستاذا مساعدا بجامعة برسلاو

١٩٠٠ الاسهام فى كتاب عن دراسات غرب اسيا
Westasiatische Studien, Berlin.

١٩٠١ تاريخ الادب العربى (فصله من كتاب : الآداب الشرقية فى دراسات مستقلة)
Geschichte der arabischen Literatur (Die Literaturen des Ostens in Einzeldarstellungen) Leipzig.

١٩٠٢ تاريخ الادب العربى الطبعة الثانية G.A.L.

١٩٠٢ بحث حول طبيعة Eponymat. واصلها
Wesen und Ursprung des Eponymats, Z.A. 16.

ARABISCHE GRAMMATIK

PARADIGMEN, LITERATUR, ÜBUNGSSTÜCKE UND GLOSSAR

VON

CARL BROCKELMANN

14. AUFLAGE · BESORGT VON

MANFRED FLEISCHHAMMER

1960

VEB OTTO HARRASSOWITZ

LEIPZIG

١٩٠٣ مقال عن تحقيق ديوان معن بن أوس ، نشر فى مجلة
Goettingische Gelehrten Anzeigen.

١٩٠٣ فهرست المخطوطات العربية والتركية والعبرية فى مكتبة مدينة برسلاو
Verzeichnis der arabischen, persischen, türkischen und hebraeischen Hanschriften, Breslau.

١٩٠٣ حول نظرية أصوات الحلق فى الآشورية
Zur Theorie der Assyrischen, Gutterate, Z.A. 16.

١٩٠٣ التاء كنهاية تأنيث فى اللغات السامية
Die Femininendung — t in Semitischen, Breslau.

١٩٠٣ نقد لتحقيق شفارتس لديوان معن بن اوس نشر فى
Goettingische gelehrten Anzeigen No. 5.

١٩٠٣ استدعى للتدريس بجامعة استراسبورج

١٩٠٣ تحقيق عيون الأخبار القسم الثانى فى
Beiheft zu Z.A. 17.

١٩٠٤ بحث : فى الاصوات العبرية
Zur hebraeischen Lautlehre, Z.D.M.G. LVIII.

١٩٠٤ المشاركة في تحقيق كتاب طبقات ابن سعد

١٩٠٤ نقد لتحقيــق كتــاب القديس ازازيل السرياني في Z.D.M.G., LVVIII.

١٩٠٤ نقد حول ثلاث رسائل للجاحظ

Tria epuscula auctore... Al Djahiz, Goettingische Gelehrten, Anzeigen, No. 6.

١٩٠٤ بحث بعنوان : اللغة السامية

Das Semitische Wissenschaftliche Jahresberichte (Sonderdruck aus Z.D.M.G. LVIII).

١٩٠٥ كتاب : النحو السرياني

Syrische Grammatik, Berlin.

١٩٠٥ زيارة الجزائر مندوبا في مؤتمر المستشرقين

١٩٠٦ علم اللغات السامية

Semitische Sprachwissenschaft, Leipzig.

١٩٠٦ تحقيق عيون الاخبار ـ القسم الثالث في

Beiheft zu Z.A. 19.

١٩٠٧ فصله : الأدب السرياني

Die Syrische und die Christlich-arabische Literatur, in Die Literaturen des Orients in Einzeldarstellungen VII Bd. 2. Abt. Leipzig.

١٩٠٨ ـ ١٩١٣ كتاب : الاســـاس في النحــو المقارن للغات السامية

Grundriss der Vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen, Berlin.

١٩٠٨ المخطوطات العربية والفارسية والقبطيـــة والتركية والملايونية والسريانية والحبشية في هامبورج

Die arabischen, persischen, türkischen, malaiischen, koptischen, syrischen und aethiopischen Handschriften Katalog der orientalischen Handschriften der Stadtbibliothek zu Hamburg

١٩٠٨ الموجز في النحو المقارن للغات السامية

Kurzgebasse Vergleichende Grammatik der semitischen Sprachen, Berlin.

١٩٠٨ تحقيق عيون الاخبار : القسم الرابع في

Beiheft Zu Z.A. 21.

١٩٠٩ الاسهام في تأليف كتــاب : تاريخ الآداب المسيحية في الشرق

Geschichte der Christlichen Literaturen des Orients, Leipzig.

بدراسةعن الادب السرياني والادب العربي المسيحي

١٩٠٩ تاريخ الادب العربي : الطبعة الجديدة

G.A.L.

١٩١٠ الانتقال للتدريس بجامعة هاله

١٩١٠ الموجز في النحو المقارن للغات السامية ، الترجمة الفرنسية اعداد :

W. Marçais :
Précis de la grammaire comparée des langues sémitiques.

١٩١٣ الاساس في النحو المقارن للغات السامية جـ ٢

Grundriss II.

١٩١٦ علم اللغات السامية

Semitische Sprachwissenschaft.

١٩١٨ـ١٩١٩ احداث الثورة في هاله

١٩٢٣ الانتقال الى جامعة برسلاو

١٩٢٥ اعداد طبعة معدلة من كتاب النحو العربى تأليف سوسين
Socins Arabische Grammatik, Berlin.

١٩٢٨ المعجم السريانى
Lexicon Syriacum, Halle.

١٩٢٩ زيارة الاستانة للمرة الثانية

١٩٢٢ـ١٩٣٣ تحول الحكم الى الحزب النازى

١٩٣٣ الاستقالة بعد تدخل السلطات الالمانية فى الجامعات

١٩٣٥ العودة الى هاله والاشتغال بالتدريس

١٩٣٦ الاعفاء من مهام الاستاذية

١٩٣٧ العودة الى مدينة هاله

١٩٣٧ـ١٩٤٢ ملحق تاريخ الادب العربى فى ثلاثة مجلدات
Supplement, Bände I, II, III, Leiden.

١٩٣٩ تاريخ الشعوب والدول الاسلامية
Geschichte der islamischen Voelker und Staaten, München und Berlin.

١٩٤١ مقال: حول بناء الجملة فى اللغة الاجريتية
Zur Syntax der Sprache von Ugarit, Orientalia 10.

١٩٤٣ تاريخ الادب العربى ـ ط الثانية
G.A.L.

١٩٤٣ تاريخ الشعوب والدول الاسلامية ط ٢
Geschicht der isl. Voelker.

١٩٤٩ ترجمة كتاب تاريخ الشعوب الاسلامية الى الانجليزية والفرنسية والعربية
History of the Islamic Peoples, London.
Histoire des peuples et des Etats islamiques, Paris.
تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه فارس البعلبكى ـ بيروت

١٩٥١ الحصول على الجائزة الوطنية الالمانية

١٩٥٢ الطبعة الثانية فى الترجمة الانجليزية لتاريخ الشعوب الاسلامية
History of Islamic Peoples.

١٩٥٤ نحو اللغة التركية الشرقية
Osttürkische Grammatik, Leiden.

١٩٥٤ فصل عن : الآرامية وتدخلفيها السريانية، فى كتاب الفته نخبة من الباحثين الالمان فى اللغات السامية وعنوانه
Handbuch der Orientalistik, herausgegeben von B. Spuler, III. Band Semitistik, Aramaisch (135-162).

١٩٥٤ فصل عن : العربية ولهجاتها «فى الكتاب المذكور »
Das Arabische und seine Mundarten (207-245).

١٩٥٤ فصل عن : تاريخ الاداب العربى (فى الكتاب المذكور)
Geschichte der Arab Lit. (253-314).

١٩٥٥ بناء الجملة العبرية
Hebraeische Syntax.

١٩٥٦ وفاته فى مدينة هاله فى اليوم السادس من مايو عن سبعة وثمانين عاما

١٩٦١ـ١٩٦٢ ترجم الدكتور عبد الحليم النجار كتاب « تاريخ الادب العربى » الى العربية وصدرت من الترجمة الاجزاء الاول والثانى والثالث .

Z.D.M.G. = Zeitschrift der deutschen morgenländischen Gesellschaft.

مجلة الجمعية الالمانية للدراسات الشرقية

Z.A. = Zeitschrift für Assyriologie.

مجلة الآشوريات

G.A.L. = Geschichte der Arabischen Litteratur.

تاريخ الأدب العربى

د . محمود فهمى حجازى